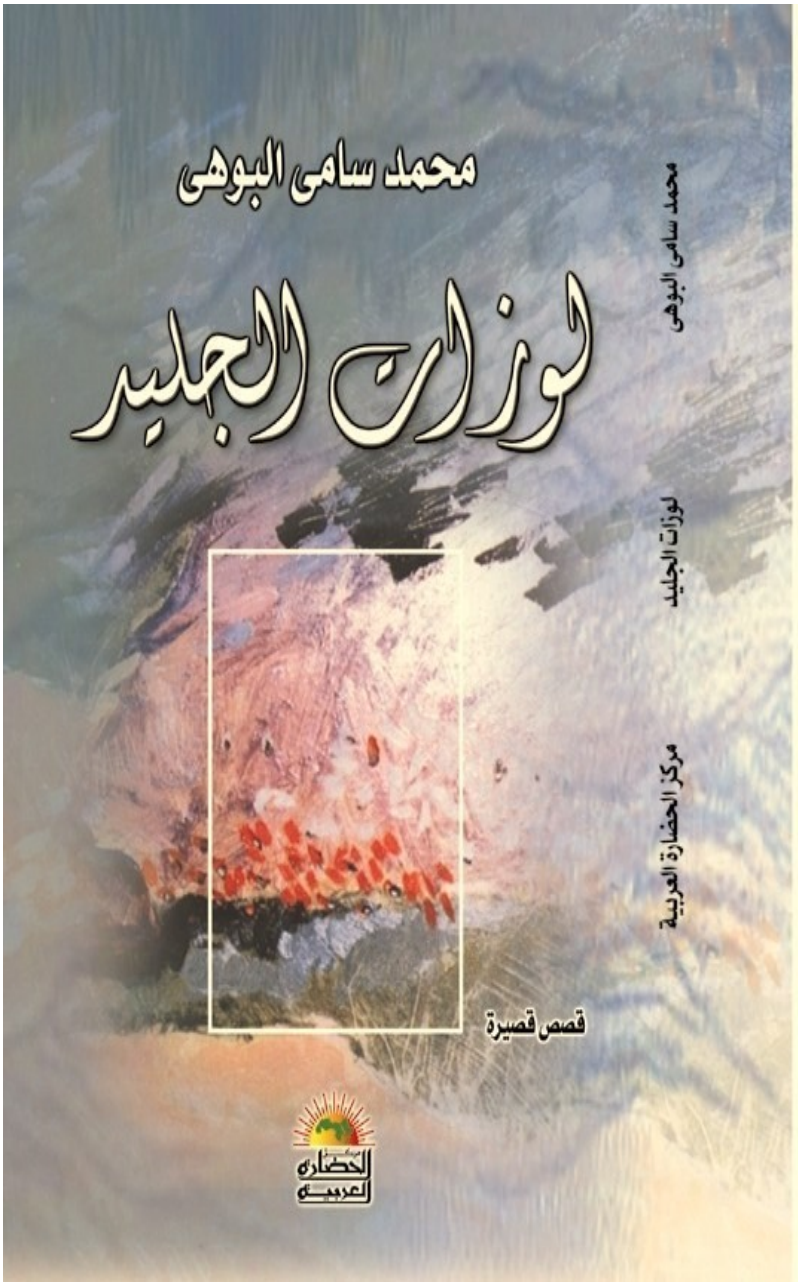
محمد سامى البوهى
لوزات الجليد
قصص قصيرة
محمد سامى البوهى
لوزات الجليد
مركز الحضارة العربية

لوزات الجليد

- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة في استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، في إطار المشروع الحضارى العربى المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية.

رئيس المركز
على عبد الحميد

مدير المركز
محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية

4 ش العلمين – عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات – القاهرة

تليفاكس: (00202) 3448368

www.alhdara-alarabia.com

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com

alhdara_alarabia@hotmail.com

محمد سامي البوهي

لوزات الجليد

مجموعة قصصية

الكتاب: لوزات الجليد

الكاتب: محمد سامي البوهي

(مصر)

الناشر: مــركــز الحضـــــارة العربيـــة

الطبعة العربية الأولى: القاهرة 2006

رقم الإيداع: /2006

الترقيم الدولي: I.S.B.N.
977-291

الغلاف

لوحة الغلاف:

تصميم وجرافيك: زاهد عبد الفتاح

الجمع والصف الإلكترونى:

وحدة الكمبيوتر بالمركز

تنفيذ: إيمان محمد

إهداء

إلى كل من علمني حرفًا, أضاء لي سيري, حرر قيودي

إلى جدي:

أول من ألقى عليّ بيت شعر

إلى أبي:

الذي منحني المبادئ والقيم وعلمني الصلاة

إلى أمي الحنون:

التي أمددتني بحنانها فاهتديت للغة الكلمات

إلى أخي ورفيقي وشريكي في أحلامي وواقعي

إلى أختي الصغيرة التي منحتني مشاعر الأبوه فأشعرتني بالمسئولية المبكرة تجاه حرفي

إلى الأستاذ / عطية عتمان - يرحمه الله- شيخ الكتاب أول من وضع يدي على كتاب الله

إلى كل أساتذتي الأفاضل بجميع مراحلي التعليمية والذي كان الحظ حليفي بالمثول بين أياديهم المضيئة

إلى زوجتي:

شريكتي في كفاح مضى وكفاح آتٍ ومن إصرارها نبع مداد قلمي

إلى كل كاتب وقارئ يقدر معنى الحرف.

محمد سامي البوهي

أصوات نعرفها

دق جرس الهاتف بمنزلنا.

تسابقت الأيدي لالتقاط السماعة – كنت الفائز – صوت رقيق اخترق مسامعي, تساءلت:

- من أنت؟

نظرت للجالسين، تلوت عليها اسمي, انخراط متبادل في الصمت، خذلتني موسيقى انقطاع الخط - أكيد لست أنا المقصود – جادت عليّ نفسي بالكلمات تصبها داخلي, التفتْ أصابعي بسماعة الهاتف، احتضنتها احتضان طفل صغير، مارت الأسئلة بوجداني:

- من تكون؟

- ماذا تريد؟

كثرت إفرازات الأحرف, العلامات، دارت الرحى برأسي, ألقى عليّ الجالسون نفس السؤال، كانت منّي اللاإجابة بالصمت الطويل, لم يعبأوا بالأمر، عادوا إلى نقر الكلمات بعيداً عن الحدث, عقلي رفض أن يكون بعيداً، الرحى طحنت عظام الرأس بالفعل.

- من تكون؟

- ماذا تريد؟

توقفتْ الرحى لتأخذ قسطًا من الملل, هبط عقلي للجالسين, شاركهم نقر الكلمات, ازداد الاحتدام, اندمجت الأصوات, اخترق الجرس النبرات, هذه المرة جرس باب منزلنا الصغير, انتهى وقت الملل, عادت تدور, توحشت في الدوران, بدأت تهشم نتوءات الجمجمة، تسابقت الأيدي لفتح الباب، فاز أخي الصغير بالجولة، الكل يترقب.. إلا اثنين من الجالسين اندمجا سويًا في نقر الكلمات، ألقيت بناظري على أعتاب الباب, أسمع صوت تهشم العظام برأسي:

- من يكون؟

- آه قد أخطأت السؤال أقصد:

- من تكون؟

- من تريد؟

نواظري مازالت عند الأعتاب تنتظر الإجابة, انفتح الباب, هه, إنه بائع جوّال, لم أهتم بما يبيع قدر اهتمامي بالشعور الذي غرسته أمي داخلي تجاههم وأنا صغير, حتى هذا الشعور, مر عبر جسدي سريعًا, شكرته قبل الإنصراف، ذكّرني بأمي - سامحه الله -. أعلمني انغلاق الباب ما قاله أخي للبائع، عاد ليأخذ حظه من نقر الكلمات, تعودت على صوت التروس الدائرة داخلي ونفس السؤال: من تكون؟ من تريد؟

خفتت الأصوات مع الأضواء, انزلاق بسيط نحو السكون, لحظات, بدأ يوم جديد غيّر مسار الانزلاق, كان أخي أول من قصّ شريط نقر الكلمات، تهافت

الأشخاص. انتظرت الأماكن أصحابها على مأدبة الطعام، حان اللقاء, اختلطت الكلمات بصوت طحن الأسنان، رنين الأطباق يتطاير هنا, هناك, حتى ارتطم بجرس الهاتف, لم تتسابق الأيدي, الكل انشغل بالطعام, ففزتُ بالسّماعة بالتزكية, أمسكتها بيدي, أسندتها على راحة يدي الأخرى, صمتت قليلا، رفعتها نحو أذني، هتفت بعبارة استهلال المكالمات, إذ بصوتها قد عاد من جديد, لم تسألني من أنا بل رددت اسمي ملتهجة بالسؤال, أجبت وقد تعطبت الرحى، لم أعد أسمع صوت التروس للحظات, لكنها لم تعد لتأخذ قسطًا جديدًا من الملل.

- نعم أنا

ضحكة خفيفة أطلقتها، أعقبت بالسؤال عن أحوالي، أخباري، فأسددت الأسئلة, هاجمتها بالسؤال: من أنت؟ ضحكتها الخفيفة أطلقتها ثانية, لم يصلني منها سوى ترجرج الأنفاس، ثم موسيقى التتر التليفونية تُنهي الاتصال. عاد السؤال: من تكون؟

التفتت ناظرًا مأدبة الطعام، لم يعد أحد من الجالسين، الكل لم يعبأ بالأمر، غادروا كي يلحقوا بأماكنهم مجددًا في منظومة الطوابير، لكن السؤال جال وعادت التروس بالدوران.

- من تكون؟

هي تعرف من أكون, فقد سألتني عن أحوالي

كأنها تعرفني عن قرب, تساءلتْ باسمي كأنها اعتادت على النطق به، الأفكار صارعت الأفكار، وقضت الأفكار على غيرها من الأفكار، ودق الجرس، ليس جرس انتهاء جولة المصارعة كما تظنون, إنه جرس منبه أخي الكبير يداعبه قبل موعد الاستيقاظ, لم أره منذ أمس، سمعت باب غرفته يزاحم الهواء، أدلف إلى الصالة متلفعًا بمنشفته قابضًا بيده مبعثرًا بها ما تبقى من الكرى عن جفونه، بدأ هو بنقرالكلمات بعد أن انكشف الستار سألني باندهاش عن بقائي، تخلفي عن ركب منظومة الطوابير، نظرت للهاتف، أسقطت الكلمات باللاكلمات، بعد انتظار سألني:

- هل سأل أحد عني أمس؟

- قلت: لا

- ولا اليوم؟

- قلت: لا

رفع كتفيه، أنزلهما، اتجه للداخل صوب دورة المياه، يجر خلفه صوت ارتطام نعله العتيق بأرض المنزل الخشبية، عاد السؤال:

- من تكون؟

تنهدت، ملأت رئتي بالهواء، اتجهت لغرفتي لالتقاط حقيبتي المملوءة بهموم الناس، أسرعت كي لا أتخلف عن الركب المنشود، عاد طابور الأجراس يشق جدران غرفتنا المستطيلة، اتجهت حيث تقبع الأصوات

تحت الوسادة، هاتف أخي الخلوي كاد أن يمزقها بنغماته، لم أهتم بالأرقام الظاهرة، أنا ممن يكرهون لغة الأرقام، حملت الهاتف إليه، انتفض في يدي كالطير الذبيح، صوت زخات المياه تتقابل معي، اندمجت الأصوات مع صوت أخي المبلل بالمياه:

- رد على التليفون

بحثت عن زر الاستقبال، رفعت الهاتف نحو أذني، قبل التساؤل صدمني الصوت، صوتها، نفس النبرات، نفس اللهجة، دارت الحرب داخلي بين الشك واليقين، ارتمت في الحديث ظنّا منها أنني صاحب الهاتف، لم أسمع ما تقول، طغى صوت المعركة على الكلام، أخبرتها بأنني لست المقصود كما تظن، فكانت نفس الضحكة، سمعت صوت تحطم الآلات في عقلي، تحرك لساني بالسؤال:

- أنت؟!

أجابت بضحكتها التي ملأت أجواء الحديث:

- نعم أنا، ألا تعرفني؟

حركت رأسي المثقلة بصمت النفي، فألقت بالإجابة كي تغلق الآلات من زر التشغيل، كأنها رأت تحرك رأسي المنهك.

- أنا أختك الصغرى، ألا تعرف صوت أختك الصغرى؟

بالإجابة تفتحت جميع المسام، اتسعت الحدقات، سمعت ضحكات أعضاء جسدي، وقد سخرت من العقل المتخم بالأجراس، الأصوات، هموم الناس,

أطلق اللسان سهم التعجب:

- أختي؟

تساءلتُ بغيظ مكنون:

- لماذا أخفيت هويتك عني؟

أجابت وهي على عجلة من أمرها، بدا لي من الأصوات التي التهمت صوتها الرقيق أنها بالعمل:

- سوف أخبرك في وقت لاحق، فقد دق جرس المدرسة، أريد أن ألحق بالطابور كي لا أتخلف عن زميلاتي من المدرّسات.

- مع السلامة.. مع السلامة.

تهبط موسيقى التتر كي تُنهي الاتصال.

الرصيف المقابل

كان يقف أمامي، في الجهة المقابلة من رصيف محطة القطار، لم يشعر بالترقب أو الاهتمام، حطّ بحقيبته على أرض الرصيف، تراجع خطوات للوراء، جلس على المقعد الرخامي، اندفع الهواء البارد غمر المكان، استدعى شعورًا بالارتياح وآخر لمواصلة التأمل، تشابكت أصابعه، ربت بكل أصبع على الآخر بانتظام، انحنى بأطراف وجهه بانفراج، امتلأ المكان بالأنفاس وبخار الماء، كانت أنفاسه تصلني مع دفعات الهواء، لكنه حاصر مشاعره هناك بالجانب الآخر، ألبسها ثوب الانغلاق، غرق في التفكير – ربما يفكر فيما ينتظره من أعمال – تطلع في ساعته مع تنهدات الانتظار، ألقى بظهره للوراء، زحزح عقدة رابطة العنق تجاه الحنجرة، ربّع يديه في خشوع، عاد يرقب القضبان، ازداد تتابع الأنفاس، تقلصت برودة الهواء، ارتفعت حرارة الكتب بين يدي، تذكرت موعد المحاضرة، في نفس المكان التقينا عند باب المدرج وسط التدافع نحو الدخول، كان ميلاد اللقاء، مرر الابتسامات بين تآلف الأرواح، ألقى بفسيلة الخَضار، غاب مع الرؤوس، رسم وجهه على جدار غرفتي، كنت أراه كل يوم على نفس الجدار، بنفس

المكان تعودنا اللقاء عند الدخول، ألف الكلام بالابتسام، زاد الشعور بالصفحات، ما زال هناك عند الرصيف، أسند الحقيبة على ركبتيه، مقلبًا بعضًا من الأوراق، امرأة عجوز اقتربت، لا مكان للجلوس وسط الأجساد، تمعّن في العكاز القادم ببطء الاقتراب، لملم الأوراق في الحقيبة، قام، أمسك يدها بانسجام، أجلسها مكانه، ناولها العكاز، دعوات تتشر هنا وهناك استعادت برودة الهواء، بعد شعورٍ بالارتياح، عاود التطلع في عقارب الساعات، الصافرات تقترب، زاد الاهتمام مع زخات أنظارٍ بلا سحاب، استحلفت منه بعضًا من النظرات، اقترب القطار من القطار تداخلت العربات بانعكاس في صراع نحو السكون، غاب الطيف مع الحضور، تفتحت الأبواب، تجمع السواد للدخول، مقعدي هناك اصطف مع مقاعد العربات جوار النوافذ، بدأ التحرك من السكون لملاحقة السكون، انتحرت النظرات أمام القطار، عاد الشعور بالصفحات، اتجه القطار للابتسام هناك، بنفس المكان عند باب المدرج، وسط التدافع نحو الدخول.

لوزات الجليد

كانت تقف خلف النافذة الزجاجية، بحجرتها المتطرفة بقصرها العتيق، لوزات من الجليد تساقطت، تكمل رسمها للوحة البيضاء، غزا جسدها شعور بالبرودة، مدت ناظريها نحو المدفأة المشتعلة، جذبت منها بعضًا من حبيبات الدفء، اكتمل رسم اللوحة بالخارج، بقي منها بعض من الرتوش، نقحته لوزات الجليد في تتابع، كرة من أعشاب برية دحرجتها الرياح من أعلى الهضبة، أضافت شكلا جديدًا للوحة، نغمات البيانو تصاعدت، بمقطوعة" البجعات" من موسيقى "تشايكوفسكي" عبرت الردهة، البهو الكبير، تشعبت داخل الغرف، شوهت اللوحة المنسجمة مع التساقط، نفضت حبيبات الدفء، فتحت الباب المتجمد بروعة الغضب، وقفت على رأس الدرج المطل على ركن البيانو، النغمات تقطعت، انخفضت ثم سكنت.. بالقاع.

- الخادمة: سيدتي؟؟!

- من؟

- إنها "آناريتا" سيدتي.

- ألم أقل أني لا أحب تلك النغمات في بيتي؟

لاحت الفتاة الرقيقة بحضورها، وسط الحديث بوجه شاحب، اقتحم جمالها المكنون، توقفت وسط البهو تحت الثريا المتهدلة، أطلقت السيدة (إيمي) نظرة ثاقبة بجحوظ عينيها نحو البراءة والهدوء:

- إن عدت سوف أحطم البيانو فوق رأسك.

- حاضر عمتي لن أفعلها ثانية.

أدارت وجهها تشق أجواء المكان، ركلت الباب المتجمد، عادت للنافذة مع بقايا من النظرات، صهرت بعضًا من لوزات الجليد المتساقط، الكرة اقتربت من أطراف اللوحة، اتضحت ملامحها الممتزجة بذرّات الجليد، تباعدت اللوحة بالشخص القادم، امتطى زحافات للتزلج، مخلفًا وراءه خطين من السواد، لوزات الجليد قامت بدورها من التلوين والتنقيح، مع انكشاف المعالم، بدا ساعي البريد بمعطفه المخملي وجعبته المنتفخة بالرسائل، لحظات من التصفح بوجه الأرض، وترقب للقادم، ثم اختفاء في النفس تبعه دقات على باب الغرفة الحبيسة.

- من؟

- رسالة يا سيدتي؟

- دعيها على المنضدة

فتحت الخادمة الباب في هدوء، دلفت الحجرة، وضعت الرسالة كما أمرتها.

- تأمرين بشيء آخر سيدتي؟

- اخرجي ولا تأخذي معك حفنات من الهواء الدافئ

نظرت الخادمة نحو النافذة الزجاجية بتراجع للوراء، جذبت الباب، غابت مع وجهه الآخر، اقتربت "إيمي" من المنضدة، أمسكت بالرسالة بتفحص أعقبة ابتسام ساخر.

- إنها من موسكو!

فتحت الرسالة، أخذت تجوب بالقراءة بقلب توحد مع اللوحة الجليدية.

- أولغا؟.. أولغا؟؟؟

- نعم سيدتي

- نادي - آناريتا - حالا

إنه الجنون يلاحقها بعد أن تركها تفرّ من الحرب، أفقدها كل شيء بقسوته – جمالها، حبها، مشاعرها، انتزع الرحمات من قلبها، كما انتزعتها الحروب من قلبه، دائمًا هو زائرها الأول والأخير بأحلامها، في خيالها، اليوم عاد يلاحقها برسائله، يبدو أنه كتبها قبل موته بأيام قلائل، حال تراكم الجليد بين وصولها قبل موته، ذهب وترك لها قطعة منه تربت بين يديها بعدما أخفت الحرب أمها تحت الركام، هي تعرف جيدًا أنها ليست مثله، لم تحمل منه أي طباع، غير حبها للموسيقى الكلاسيكية، حيرها الشعور نحوها حب أم كره، أم حب متكاره بذكرى تزاحمها في ما تبقى لها من العمر، ابتلت الورقة بدمعة ساخنة أتت من عبق الماضي، تناثرت عند أطراف كلمة "أختي العزيزة" شوهت بعضًا من

حروفها، أفاقت من غفلتها، جففت جفونها قبل حضور ابنة أخيها التي عهدتها دائمًا القوية الصارمة، أنثى بنيت شخصيتها تحت دانات المدافع، وأصوات القنابل، الكل يعرفها أنثى لا دموع لها، دقات رقيقة على بابها الخشبي:

- ادخلي" آناريتا "

- عمتي؟

- هذه رسالة من أبيك

- أبي؟؟!!

- يبدو أنه كتبها قبل وفاته وتعثر وصولها إلينا سريعًا.

- وفاته!. أمات أبي؟!

- نعم منذ شهر ألم أقل لك؟!

نظرات، كبتت داخلها فيض دموع غيرت مجراها نحو المنبع، حوار صامت، صدمات نشرت شذراتها بالأجواء، تساؤلات تقرير داخلي، أذابت كل ذلك بكوب من حزن، تجرعته كي تروي مشاعر خنقت بقمقم منذ آلاف السنين.

أمسكت الرسالة بأطراف أناملها الرقيقة، طافت بين حروفها اليائسة فهي تقرأ رسالة من إنسان ميت، كتبها أملا في الحياة، لم تلمس حنانه يومًا ما، اعتادت القسوة كأنها هي الأمر الطبيعي السائد في تلك الدنيا، تلقت خبر موته باختذال مكنون، الدموع تقطعت, انخفضت ثم سكنت بالقاع.

- إيمي: لا جديد فيها، أرسلها ليطمئن علينا، يقول إن

الذي منعه من الحضور هو مرضه، ليته علم أنه المرض الأخير.

غاصت " آناريتا " في الكلمات، تشممت فيها رائحة أبيها الذي كان بعيدًا عنها دائمًا، إلا من رسائلة القليلة، ولعبه التي كان يرسلها إليها لإرضاء طفولتها الماضية، تناغمت مقطوعة " البجعات" برأسها، شعرت بحاجة ملحة إلى عزفها، لكن عمتها "إيمي" تكرهها، سرعان ما تراجعت عن الفكرة اكتفت أن تعزفها بمكنونها، حدقت في النافذة ومشهد التساقط بعين زائغة، كأنها تحسد حرية حرمت منها، ووهبت لسماء أخرجت ما بدخلها من هموم مثقلة.

- آناريتا [همس مسموع]: يبدو أنه كان يبكي وهو يكتب الرسالة.

التفتت "إيمي" إليها بدهشة حانقة، شاركتها نظراتها للنافذة، وتتابع لوزات الجليد المتساقطة.

- إيمي [همس مسموع]: نعم وقد ابتلت أحرف الرسالة من دموعه.

لون "فاسد"

أمسك باللوحة الخشبية، أثقل بها الحامل المتصلب، حتى استقرت بين يديه باحتضان، خيوط البداية تلتف بالموقف، تتلبك والأخيلة، تجتذب كل الوجوه أمامه، أسند للفرشاة مهمة الاختيار، انغمست في بقعة اللون، استقرت بين الجزيئات، لا تناسب مع الوجه المختار، سبحت في بقعة اللون الأخرى، تلاعبت بذيلها في القاع، قفزت نحو البقعة المستسلمة للانصياع، أفسد المزيج النقاء، غيّر من ملامح الألوان، مازال الانصياع..

الاختيار لم يقرر بعد ملمح الوجه القادم، تنحّت الفرشاة عن المهمة، أسندت رأسها على الحافة المستديرة، اشتعل عود الثقاب, مدّ فمه يقبل سيجاره الذي قبض عليه بشفتين متآكلتين، نفث لحظاته في وجه اللوح الخشبي الذي تجشّأ بالغثيان، مازال السطح فضاء، تحسس كتل وجهه الهائلة، اقتبس منها بعض الأفكار، انطلق بلا وعي إلى فراغ حولي، التصق بدعائم الإبداع، تساوت كل الوجوه في وجه واحد، لم يعد يرى غيره بعد أن أحكم الحصار، كثيرًا ما أراد الهروب لعالم الأشكال، وهو هو بكتله الهائلة، مد يده للفرشاة الباكية بقطرات اللون الساكب، اعتذر لها، بكى عليها، شطرها

نصفين، دهسها مع بقايا السيجار المحترق، لطّخ وجهه بمزيج الألوان الفاسدة، تقدم نحو اللوح الخشبي، طبع لوحة قد رآها من قبل.

كسرة خبز

غاصت عيناي في عينيه، توحدت ملامحنا بين تفاوت المارة، امتد بيننا خيط من ضوء مظلم، حدّق فيّ، كأنني أول إنسان ينظر إليه في حياته، تجولت بناظري بين ثيابه الممزقة، القسمات المنتشرة على وجهه، كأن خُط عليه خطاب من لغة رمزية، ووقّع تحته الزمن بتوقيعه السريالي الذي يوقعه على وجة كل إنسان منا تدريجيّا دون أن يدري، أخذت أحاول قراءة الصفحات التي تحويها نظرات الدهشة، المخضبة بالخوف التي يرمقني بها، لم أعثر على أية لغة بين طيات عقلي، تدلني على فك رموز تلك الصفحات، الرجل كان ينظر إليّ مشدوهًا، كأنه أراد أن يعلن للعالم أن هناك إنسانًا شعر بوجوده، أنه ليس مجرد حجر ملقى يتعثر به كل مارّ, يمشي بهذا الطريق، كانت نظراته نحوي متقلبة، ما بين نظرات الإباء والرفض، بها يخبرني رفضه لأي نظرة تنم عن شفقة أو عطف، أو أنه يعلمني استغناءه عن العالم الإنساني الذي لم يعترف بكونه إنسانًا له وجود على الخريطة الإنسانية، كانت نظراته محيرة، شتت تفكيري في أنحاءٍ متعددة، حاولت الاقتراب من مملكته بخطى متثاقلة، أخذ يلملم بقايا ثوبه المتهدلة،

استعدادًا لمواجهتي، كشخص ينتمي إلي العالم الآخر، الذي لم يعبأ به، لم يعترف به كإنسان له حقوق مزعومة كفلها له المجتمع، عندما وصلت إليه لمحت في عينيه وميضًا غريبًا، أصبحت عيناه كبئرين عميقتين تحويان داخلهما كل صروف الدهر، كل آلام السنين الماضية، جلست أمامه، مددت يدي في جيبي، مخرجًا بعضًا مما جادت به نفسي من نقود، لكنني شعرت أن البئرين فاضا بكل الغضب المتحشرج داخل هذا الرجل، مع نهره يدي التي تحمل إليه النقود، ثم أمدد لي يده كاشفًا عن كسرة خبز بين أصابعه المتجعدة.

الكراسي الموسيقية

نثر تعليماته في وجهي من وراء مكتبه الضخم، وقف خلفه كأنه ساتر أمني يحتمي به من الآخرين، فرش كفه الصغير على سطحه كلزمة لقن بها الحديث، تضاءل جسده، تقلصت ملامحه الدقيقة أمام الضخامة المصطنعة، شعرت بأن الكتلة الخشبية هي مَن تتكلم، كجزء من خلقه الإنساني، أشار بسبابته نحوي لتجسيد الحوار الذي ألقى به في تيار الاتجاه الواحد، زادت ترهلاته من مقاومتها لأزرار قميصه الرمادي، قررت أن أدير الحديث باتجاهين دون أن يدري:

- يومًا ما سأجلس هنا، أدير الحوار كما يحلو لي، لن أسمح له بتسلل نحو الحوار، سأقتل الكلمات قبل أن تولد وتصل مسامعي، أكتفي بنثر تعليماتي بالإشارات، أحطم هذا المكتب الضخم الذي اختاره ليعوض نقص جسدي تقابلا مع منصبه في نقطة تنافرت جوانبها، أستبدله بآخر زجاجي شفاف يوحد افتخاري بقوامي الممشوق، أغير تلك الديكورات الباهتة، أنكس هذه اللوحات التي تحمل صورًا لأشباح ممسوخة.

طار فوق سحابة تخلفت عن قافلة السحب، حتى تطايرت الأوراق من حوله كتطاير زينات الزفاف، جهد من ليلة كاملة، رفرف حوله كأجنحة حمام بيضاء، تصلبت كي تكون رمزًا لسلام منشود، انقبض الكف الصغير ضاربًا عرض المكتب الخشبي، مع هالة من كلمات مزقت أوصال الحوار.

- هذه التقارير لا تصلح إلا كأكياس لبيع الحبوب.

- آسف سيدي سأعيد كتابتها

- لا داعي فقد نفد صبري

أمسك بسماعة الهاتف، رد ظهره للوراء، تأرجح بالكرسي الموسيقي يمينًا فيسارًا، نظر لأطراف أظافره لاستعادة لزمات الحوار.

- أعدي خطاب إنهاء خدمات وأحضريه حالا يا آنسة.

العرض مستمر

تقابل وصفحات الجريدة، تصفح الوريقات، تصفحت شاشات التلفاز، فيلم يحبه، مسرحية, نشرة الأخبار, عالم المرأة يروق لي، تململ من خلف قناعه، لم يرهبني تململه، إن ضاق به المقام فالرحيل حليفه، تلك مملكتي وحدي، أعي تمامًا أنه لا يقرأ بل.. يهرب.

- كم كنت أحبها، سنوات قذفتها من نافذة العمر، كزهور ترحيب بدقات قلب تهتف لها، كنا نسير معًا على طريق الصمت، توقفنا محطات النظرات، نقتات منها كي نحظى بحياة، انتهى بنا الطريق إلى هناك، حيث تهافتت السنون على اللقيمات، فما عدنا نقوى على أهوال الطريق، سكن الموت داخلنا.

- كان دائمًا يقولها، أحبك، لا يتركها ولا تتركه، أحببت سماعها حتى قرأتها بكتب الإحصاء والرياضيات، رأيتها شتاءً يضيء عتمة أغطيتي الثقيلة، كلمة وعد وقّعنا صحيفتها سويًا، علقناها قلادة على صدورنا، أحرقتها شمس صيفية، فبليت رمادًا مع رحيل لاح له خارج الوطن- فرصة العمر كما يقول

- أراد مني توقيع صحيفة الانتظار، لكن العادات هي من وقّعت صحيفة زواجي مع زائرنا الأول.
- حاولت أن أحبها، دائمًا الماضي يرسل إليّ بجيوشه الجرارة، دخلت المعركة، هُزمت، حاربت، ثم هُزمت، وما زلت أحارب والنهاية حتمية، يقف أمامي دائمًا كمرآة شخصي المزعجة، التساؤلات تتكاتل كي تعزلني، أقاوم، أستجيب، والحقارة تلفني بالأنا الأعلى.

أعرف ما يحويه تمامًا، أقرأ في كل لحظة مانشيتات الندم بعينيه، يتعذب، أخفي عذابي، أشعر بآلام عند قراءته، تعتليني النشوة مع آخر كلمة أقرأها، ربما هي الشماتة، الانتقام الملفع بأوهام حالية، سرعان ما أتذكر نجاحي في إخفاء مشاعري، داخل جيوب أسراري الأنثوية، لم يخطر بباله لحظة أنني أحتفظ بمسودات الماضي الذي رحل.

- أحبك، كيف أقولها؟ كيف أمنحها حروفها وأنا لا أملكها؟
- لكني أقولها حتى وإن دهستني مرآة نفسي، ألمح إشراقات وأهلّة تنبعث من وجنتيها، وآلام تشعّ من صدر لعن قلبه لسان ينطق بها، لكن وهي زوجتي كيف أحجبها عنها، فيلم درامي أقوم فيه بدور البطولة، قد لا أحتاج لكاميرات، إضاءات، مُخرج يلوّح بيديه، يرسم الخطوات والعبارات، العرض مستمر.

البؤرة الفضية

جمّعَ نظراته ببؤرة فضية تركزت في عينيها، ساوم نفسه بين الرحيل أو المُقام، اختمر الحلم داخله، استوى مع الذات، تراقص مع دفعات الدماء المتدفقة على ألحان قلبه الموسيقي الكبير، لملم منها بعضًا من الكلمات عن الحب العفيف، تضحية الفرسان، أججت صرخات العواطف المتكاتلة داخله، عاد من عالمه زائرًا للعالم الآخر، اقتنص بعض العبارات المغمورة بماء الورد، تدلت أمامه عناقيد الأنوار الملونة، طوابير الزغاريد، الفستان الملائكي، التحمت مهجته الغائرة في جيوب الدفء بأغادير الحنان، طاف معها بقرص الضوء المستدير, الذي سقط عليه من السماء، تغامضت جفونه تعتصر الأمنيات، تصنّم جسده أمام رجاوات المستحيل، أخذ منها صورًا لمجهول قادم من كهوف المستقبل، تناسى ما يكون من واقع عقيم، حطم حاجز الظلام، انزلق في الشريحة السوداء المتربعة أمامه على الجدار، نزعته بنبراتها المتواترة من نمارق الأحلام.

- خالد؟.. خالد؟!

مزق شرانق الحرير، قاوم نعومة النسيج، خرج من

نور إلى نور، تصالح مع عيون الحاضرين، التفت من اليمين لليسار ومن اليسار لليمين، احتدت النبرات مع تقطع الأوتار.

- خالد؟ أنت معي؟

- هَهْ... آه... نعم معك؟

- قف يا خالد.

قام بتجاذب من بقايا الأمنيات، نسي تلك البؤرة الفضية هناك، أصدرت نفسه حكمًا بالبقاء دون الرحيل.

- خالد؟

- نعم.

- ماذا فعل الفارس "محمود" عندما اقتحم العدو القلعة؟

استشعر جبال البسيطة كلها، وقد غُرست فوق رأسه التي لفظت آخر لقيمات الخيال.

- تزوج من الأميرة.

- أية أميرة؟

- هَهْ.. لا أعرف.

- كيف لا تعرف؟

سقطت عصا العقاب.

الذى ثأر لضحاياه

- ولله بريء، حرام عليك، أولادي مَن سيربيهم، منك لله.

كانت هذه الكلمات تتردد داخل عقل المهندس (مهران عبد السلام) - أحد وأهم المهندسين الذين يعملون بالشركة العالمية لتصنيع اللحوم - عندما غادر ساحة المحكمة، بعد النطق بالحكم في قضية مقتل رئيس حسابات الشركة، وسرقة خزانتها، كان المتهم الأول في هذه القضية (ناجي إبراهيم) حارس الأمن المسئول عن وردية الأمن الليلية بالشركة، صدر الحكم بإعدامه، وذلك بعد الشهادة التي شهد بها المهندس (مهران عبد السلام).

أخذت هذه الكلمات تمور في وجدان (مهران) إلى أن وصل إلى منزله، دخل إلى غرفة نومه، ألقى بجسده المنهك على السرير، عيناه زائغتان، كلمات (ناجي إبراهيم) تحاصره من كل ناحية.

- والله بريء.. حرام عليك.. أولادي مَن سيربيهم.. منك لله.

أطلق فجأة مهران ضحكة ليس منبعها القلب، بل من غابة سوداء نبتت داخله، حوّل نظره إلى المرآه

أمامه، حدّق فيها طويلا، قائلا لنفسه بطريقة تهكمية:
- هه.. (منك لله).. (منك لله)!
أخذ يضحك بطريقة هستيرية، حتّى انقطعت نوبة الضحك بصمت وهدوء شامل، انتهى به إلى النعاس، كأنه أراد أن يطبق المثل الشعبي المعروف" "نوم الظالم عبادة"!
دق جرس الباب مقتحمًا الصمت الذي خيّم على المكان، استيقظ (مهران) من سباته العميق مفزوعًا، قام من سريره مترنّحًا، متجهًا ناحية الباب ليعرف.
- من؟.. من بالباب؟
إذا برجل عجوز يوحي صوته أنه أقام حلفًا قويًا مع الزمن:
- افتح يا مهران
قام مهران بفتح الباب بحرص شديد، رجل عجوز ممزق الملابس، مغبرّ الوجه، صنعت الأيام بظهره منحنًى، أثقلت حركة قدميه، بدأ الرجل بالتحرّك داخلا شقة مهران بخطوات بطيئة.
- من أنت؟
- [مبتسما]: ألا تعرف من أنا يا مهران؟
أخذ (مهران) يحدّق في وجهه متطلعًا إليه، معيدًا قرص ذاكرته للوراء، ولكن لم يعثر بذاكرته على أي شيء يدلّه على هذا الرجل الغريب.
- من أنت، وكيف عرفت اسمي؟
جذب العجوز كرسيًا من المنضدة جالسًا عليه.

- اجلس يا مهران.. اجلس

جلس مهران وقد وصل إلى قمة الذهول

- ألا تعرفني يا مهران؟
- لا.. لا أعرفك!.. من أنت، وماذا تريد؟

بادره العجوز فجأة:

- أنت القاتل يا مهران
- قاتل؟.. قاتل مَن؟
- أنت من قتلت محاسب الشركة وسرقت الخزانة!

هب (مهران) واقفًا وكأنما لدغه ثعبان:

- أي محاسب وأي خزنة؟.. أنا لا أعرف عمّاذا تتحدث!
- لماذا يا مهران؟.. ألا يكفيك ما فعلته في دنياك؟

صرخ فيه مهران:

- انطق أيها الرجل: من أنت؟

واصل العجوز كأنما لم يسمعه:

- أصبت زوجتك بالجنون، أدخلتها مستشفى الأمراض العقلية بيدك، كي تستولي على ثروتها التي تركها لها أبوها، حين علمت أنها كتبت ثروتها لابنتك، قمت بقتلها بسيارتك.

انتفض مهران مذهولا، وهتف:

- أنت.. أنت كاذب.. زوجتي كانت مجنونة، ابنتي ماتت في حادث سيارة وهي تعبر الطريق.. أنا لم أقتل.. لم أقتل.

- اجلس يا مهران.. اجلس

جلس مهران بتثاقل، همهم العجوز بهدوء:

- أنا أعرف عنك كل شيء يا مهران.
- انطق.. من أنت؟
- ألا تعرف من أنا؟
- نعم أيها الكاذب، لا أعرف من أنت.. هيا اخرج من بيتي.. هيا.
- بيتك؟.. هاهاهاه.. بيتك الذي اشتريته من صفقة اللحوم الفاسدة، التي أدخلتها مصنعك، راح ضحيتها العشرات، كان من أولهم أعز أصدقائك الدكتور (محمود توفيق) الذي لفقت له القضية؟!

انهار (مهران) مرتميًا على كرسيه، وهو يهمهم مصدومًا:

- من أنت أيها الرجل؟.. كيف عرفت عني كلّ هذه الأشياء؟
- ماضيك مشين يا مهران، مليء بالجرائم التي لم تفكر لحظة واحدة وأنت ترتكبها في..؟؟

همهم مهران شاردًا، كأن الكلام أفلت من فمه رغمًا عنه:

- أنا لا أنام.
- هل أنت نادم يا مهران؟
- على أي شيء أندم يا رجل؟
- على ما فعلته

- ماذا فعلت؟
- بعد كل هذا تقول ماذا فعلت؟.. ألم تفكر في أطفال هذا الرجل الذي أوصلته إلى حبل المشنقة بيديك؟.. ألم تفكر في زوجته؟.. ولكن كيف تفكر في أطفاله وزوجته، وأنت قتلت ابنتك الوحيدة بيديك، حكمت على زوجتك بالموت؟
- زوجتي كانت لا تحبني.. كانت تشعرني دائمًا أنها أفضل مني.
- انتقمت منها، سلبت مالها، أكملت جريمتك بقتل ابنتك.
- خطأي الوحيد أنني قتلت ابتي، كنت أعمى، لم أرَ شيئا غير..؟
- أنت نادم يا مهران؟
- نعم نادم.. أنا بشر ولا بد أن أخطئ و..
- لكن ندمك هذا شعرت به متأخرًا يا مهران!
- أنا حقّا نادم وأريد أن أعود لله عله يغفر لي ذنوبي ويرحمني.
- أمامك الفرصة الأخيرة، من الممكن أن تذهب للنيابة، تعترف بجريمتك، تنقذ هذا الإنسان الذي وقع اليوم في بيت عنكبوتك السّام.

وضع (مهران) يده على مقدمة عنقه:

- أنا أفكر في ذلك عن جدّ، أريد أن يكون إعدامي تكفيرًا عن ذنوبي السابقة التي ارتكبتها، علّ الله يقبل توبتي.

- صحيح يا مهران؟.. أنا سعيد جدّا لسماع هذا الكلام.
- آه يا شيخ.. نسيت أقدم لك واجب الضيافة.. تشرب قهوة؟
- نعم جزاك الله خيرًا
- قهوتك مضبوطة أم سادة؟
- مضبوطة

عقّب مهران ناهضًا:

- مثلي تمامًا

وغاب عن ناظري العجوز، ليدخل المطبخ، كان شيطانه قد بدأ يلعب بعقله، هذا الرجل يعرف عني كل شيء، إذا لم أعترف أنا بجريمتي، من الممكن أن يبلّغ هو عني النيابة، أُعدم، أموت مفضوحًا بجرائمي، لا بد من الـ.

وقعت عين مهران على زجاجة صغيرة بدولاب المطبخ مكتوب عليها 0000؟؟

أمسك مهران الزجاجة بيده، وضع بعضًا منها بفنجان العجوز، خرج من المطبخ، حاملا صينية عليها فنجانا القهوة.

- تفضل.. علّ قهوتي تحوز إعجابك
- شكرًا يا مهران
- تفضل يا رجل.. اشرب قهوتك

بدأ العجوز في احتساء القهوة، ومهران يتابعه

بعينين مشتعلتين، وبسأله:
- لكن يا شيخ، أنت للحين لم تخبرني من أنت؟
- بعد كل هذا الحديث، لم تعرف من أنا يا مهران؟
شعر مهران بألم مفاجئ في معدته، جعله يطلق صرخة حادّة، فسأله العجوز بنفس هدوئه:
- ماذا دهاك يا مهران؟. ماذا بك؟
لا.. لا شيء.. لا شيء.. من أنت يا رجل؟.. من أنت.. آه.
- دقق في وجهي، وسوف تعرف من أنا يا مهران.
همهم مهران، وقد بدت على وجهه سكرات الموت:
- أنا لا أعرفك.. لا أعرفك.. آه.
- سوف تموت يا مهران.. أردت قتلي، فقتلك الله.
هبّ مهران واقفًا وهو يترنّح، محاولا خنق العجوز:
- قتلتني يا رجل.. قتلتني.
فدفعه - العجوز - دفعة قوية، ألقاه على الكرسي.
- من أنت أيها الرجل؟.. من أنت؟
- للآن لم تعرف من أنا يا مهران؟
نظر له مهران بعينين زائغتين، بدا له العجوز، كأنه يكتسب شبابًا كلما اقترب مهران من الموت.
أشار إليه مهران وقال بصوت متحشرج:

- أنت.. أنت.

ثم سقطت يده، خيم الظلام بعدها على المكان، كأن الدنيا أرادت أن تغمض عينيها عن رؤية جثته.

في الصباح، سقط شعاع الشمس عابرًا من النافذة، على جثة هامدة ملقاة على الكرسي، أمامها صينية عليها فنجان واحد فقط!

القفص الفارغ

جلس بساحة المحكمة، على مقعد متطرف بعيداً عن العمق المنزوي على قفص الاتهام، تراص الحضور بمواجهة منصة إصدار الأحكام، تدرجت الشرائح بالساحة المنغلقة على الهمهمات المتثائبة بين صروح الفخامة، وقيعان البساطة، ترنحت المشاهد أمام تجربته الأولى بمثل هذا المكان، تناظر بالذاكرة بين مشاهد السينما والكائن من الواقع غير المتكافئ، نظر ناحية القفص، باهت الألوان، تعثر بالفراغ، كأن قطيع المجرمين بات في انقراض، الكل قد ملأ حجره بما فاض عليه من مشكلات، جاء يصبها أمام عدالة الأرض، انتصبت الأسئلة بالرأس المتلفعة بالفراغ، شهق بابتلاعها قبل أن تخرج للحياة، زاغت عنه الإجابات للهروب بالحقيقة المزعومة لبر الأمان، جاء بعد أن ورث النزاع على حق طالت غيبته، هنا بتلك الساحات، كان ينصت إلى ما يقوله له أبوه وإلى ما يحذره منه جده، بعدم التفريط في حق الأجيال، طالت المعارك، السجال، تقطعت الأوصال، ثقل الذنب الذي اقترفه الكبار ووقع فيه الصغار، كان الأب يطارده بكلماته دائماً، لا تلعب معهم، ابتعد عنهم، إياك أن تقترب من

اللصوص، زادت الهوة بالانفصال، كبر اللصوص التي تضخمت معهم مواعظ الأجداد، أرضك هي عرضك، لا تترك حقك مهما طال الزمان، كثيرًا ما طال الزمان حتى أهداه اليوم راية النزاع، أكاليل الأوراق المفعمة بروائح الكراهية، وقعت عينه على أحدهم، جلس هناك بالأمام لم تتغير ملامحه كثيرًا منذ الصغر، غمره صوت أبيه، تحسس ملابسه لتأمين الحافظة المهددة بالضياع، وقع في بحر الصمت عندما حلّقت الطيور على الرؤوس، خرج عليهم الحاجب كي يهتف بالحضور، تخلل الوقت الجدال بين الدفاع عن الحقوق واللاحقوق وفرض الأحكام، انزلق إلى مركز الدائرة بتقدم الدفاع نحو المنصة حاملا أكاليله من الأوراق، قدم ما لديه من قرائن، معلومات قطفها، ملأ بها السّلال، عاود الجلوس ببهاء في انتظار الوجه الآخر الذي تناوب بدفاعه عن الحق المتأرجح، كلماته عن السنين التي مضت وهم يزرعون ويكدحون، وأن الأرض لا تعرف إلا من يزرعها، اعتراض، نفير، حسم، تقرير، أوراق تأتي، تروح، أصوات تعلو، تنخفض، مازال أحدهم يجلس بالأمام، اقتحمه الخوف، سرى الارتعاش من أعلى الرأس حتى أطراف ساقيه، عاد لينخره صوت أبيه من جديد، لا تلعب معهم، ابتعد عنهم، إياك أن تقترب من اللصوص، تضارب الفك بالفك والأسنان، تحسس ملابسه، الحافظة بمكانها، قبض عليها، جرى ناحية القفص الفارغ، جذب بابه، تقوقع داخله، حتى صدر

الحكم بالإعدام.

نحو الخلاص

جلس في انتظار الدور القادم من التتابع، تعددت الملامح المستلقية على المقاعد، والمشاهد بتسلطها فرضت على الأعين التطلع، طفل صغير يئن، يتشبث بالأحضان، رجل جمع آلامه، دثرها بجلبابه القروي، امرأة تعض على منديلها كي توئد الآهات، الكثير من المشاهد تباعدت مع الجدران بالحجرات، ضيق التنفس يحاصره بين الحين والحين، أراد انتزاع رئته من الداخل كي يستريح، جهاد بعراك نحو الحياة، صوت السعال يرتفع بتبادل مع الجالسين، قاهر الانتظار وراء مكتبه الصغير بحلته البيضاء، وبشراه التي يزفها باقتراب الموعد للقاء، ارتفعت الأعناق، توحدت الأنظار مع القادم الجديد، الخارج الذي يحمل بيديه ورقة الفرج والخلاص، التتابع يسير بالموكب في النظم الرتيب، اختلطت صوت الأنفاس المتحشرجة بالأنين، نوبات السعال، التضرعات الخافتة، تستجلب الآمال، قامت امرأة تجر بقطارها طفلا صغيراً، آلامه التي يزحفها خلف ظهره الغض، توقفت هناك أمام المكتب الخاشع للوجوم، تساءلت بلغة الأرقام، عادت بقطارها ذات الخلف تعد خطوات المسير، صوبت الأعناق المتباطئة أعينها

نحوه بعد تلقي بشرى اللقاء، الدور قادم بعد الخروج، زاد الخناق بالتنفس نحو الحياة، تقلصت الرئة حتى التحمت بالأوجاع، تمددت حبيبات العرق، طفت على السطح، خوف مجهول تسلق شرايينه المتشعبة، تجمهرت كتل الدماء أمام الفوهات مع الخارج السافر، تلقى تأكيدًا بالدخول، قام يجرجر قدمه بقدمه الأخرى، تساوت الأقدام بالغرفة المظلمة إلا من مصباح أوقده القابع وأحنى رقبته كي يضيء رقعته الأنيقة، الكلاسيكية، تتخم المكان برائحة الماضي التي طغت على عنفوان المعقمات، أشار بيده للجلوس بعد أن مطّ شفتيه بروتين الابتسامات.

- كيف حالك؟

- الحمد لله

- تتناول الدواء بانتظام؟

- نعم ولكن لا أشعر بتحسن

- هل قمت بعمل صورة بالأشعة؟

- نعم ها هي

جذبها بأطراف أنامله المترفة، لوى رقبة المصباح نحوه، رفع صفحة الصورة كي تعترض الضوء المنسدل، كشفت الصفحة عن كتلتين من السواد تتعرضهما خطوط مائلة للبياض، بعض من أشكال تائهة بين المسميات، دقق فيها بعمق عصيب، أعاد عنق المصباح نحو الرقعة كاشفًا عنها الظلال

- الحالة مستقرة
- لكني لا أشعر بتحسن
- صورة الأشعة تنبئ بالخير
- الاختناق يزيد يومًا بعد يوم
- تفضل استلق على السرير

استلقى بجسده على السرير الرابض بين ثنايا الأمس البعيد، مدّد نظره ناحية الفضاء المستكين يعد النجوم، أملا في سقوط شمس غائبة.

- تنفس.

.....▶

- أحبس الأنفاس

..

- الآن أخرجها ببطء

..... ◀

- كيف الشعور؟
- آلام.....
- وهنا تحت الضلوع؟
- آلام.....
- مد يدك للأمام في ثبات
- لا أستطيع
- حاول
- لا أستطيع
- هنا أعلى البطن

- آلام.....
- ارتد ملابسك

لملم قميصه دون اهتمام بالنظام، تكفأ حتى جلس على المقعد.

- ما الأخبار؟
- الأمر بسيط
- بسيط؟!
- سنغير نظام العلاج
- هل الأمر خطير؟
- لا تقلق لست أنت الوحيد
- هل سأموت؟
- كلنا سنموت
- كم تبقى لي من العمر؟
- عمرك كله الباقي
- أريد أن أستريح
- تناول الدواء بانتظام
- أهي المسكنات؟
- نعم.. أقوى من آلامك
- أريد حل المشكلة من جذورها
- لا جذور للمشكلة
- هل ضمرت؟
- ضمرت قبل وجود العلاج

رفع عدساته اللامعة من أمام عينيه، استبدلها

بأخرى أصغر منها حجمًا، أمسك بقلمه الذهبي، أخذ يثرثر بأسمائه على ورقة الخلاص.

- تفضل

- أتناوله بانتظام؟

- نعم كي يأتي جدواه

- شكرًا لك

- عفوًا.. مع السلامة

تقارعت الأجراس لزف البشرى التالية، أمسك بالورقة وسط الصفير، تناغم بين حروفها اللاهجائية، تسلل تشعب الخطوط اللاخطوط، ابتسم لأوجاعه، مسح ملامح الجالسين، الطفل يتشبث والأنين، الرجل بجلبابه، المرأة تتمسك بالمنديل، مزق الورقة جزءًا تلو الجزء، تقدم نحو الجالسين كي يمنحهم ما ينتظرون..

ظل للحظات

كان يتصفح رقاقات المياه بالنهر الراكد عند أطراف المدينة، ضوء من القمر تزاحم، مع غصون الأشجار المستلقية فوق وسائد النسمات، تمدد على وجهه المتدرج بالظلام، مسح بكفه الشاطئ المبلل بستائر الضباب، التقط بعضًا من الأحجار، ألقى بحجر تلو الحجر، موجات تكاثرت، تداخلت، حرّكت الضوء المتناثر على السواد، جزءًا من خيالات إنسان تعرجت ملامحها في المياه، صوت قابع في الأعماق، غرق ومات، صوت آخر ولد، قد غرق، مات، تشابكت التأملات مع هدوء الركود، الأحداث تشابهت، لا جديد تحت ظل اللحظات، مياه راكدة، ضوء خافت، صوت لحقه حجر آخر في الأعماق قد غرق ومات.

أحلام تحت المجهر

دس عينيه بفوهة المجهر بعد أن وضع شريحة تحمل عينة للفحص، حرّك عدسات المجهر, يمينًا فيسارًا لضبط مسار الرؤية، يدقق كثيرًا ثم ينهال بقلمه على أوراقه، بطريقة أقرب إلى الهستريا، مرت لحظات طويلة، قطعت من جسد الزمن وهو على هذا الحال، غير آبهٍ لوجودي، كان يصلني شعور التظاهر بالانهماك والتفاني بالعمل لدرجة تتخلل الوعي، أجلتُ ناظري بأركان المختبر الصدئ، ألتقط بعض الصور للأجهزة المتهالكة، بقايا عصارات الأحماض والأصباغ التي لطخت الطاولات والأرضية، المكان دميم، غير مألوف، لا يشجع على العمل ولا على هذا التظاهر الغبي الذي طالما مدده إليّ بتحركاته الغريبة التي تستفزني، فضلت التنفس من خلال الفم، لتجنبي الروائح الفرعونية التي تبثها جدران المكان المريضة بالرطوبة، ساعات مرت دون كلمة واحدة، يرطب بها ريقي الجاف، تساءلت: كيف سأقوم بالعمل في تلك الحظيرة؟ كيف سأتعامل مع هذا الفأر الضخم؟ أشعر أن طموحاتي ستكفن، تدفن هنا بمعدة هذا الحيوان اللزج، أعلم جيدًا أن الوظائف الحكومية تحتاج إلى ذوي النفس الطويل

وصراعهم مع الصبر والأمنيات التي لا تتعدى الحصول على الترقية للدرجة الأعلى، فأبي كان ذا عقلية فذة، امتاز بها بين زملاء الدراسة بكلية الهندسة الميكانيكية وذلك على حدّ قوله، على حد ما أطلعنا عليه من شهادات، كثيرًا ما أخرجها من حقائبه القديمة، فخر بها أمامنا، طالما جمعنا أنا وإخوتي تحت دفء الأغطية، حكى لنا عن أحلامه، مشاريع اختراعاته التي تبخرت مع إلحاقه بالتجنيد مدة فاقت السبع سنوات، خوضه حرب الاستنزاف، حرب أكتوبر بسلاح المهندسين، يحكي فتختلط قصص تفوقه الدراسي بقصص مغامراته الحربية، بطولات زملائه بالجيش، نفس القصص كانت تتكرر في كل مرة يجمعنا فيها حتى أنني حفظتها عن ظهر قلب، رميت نواظري على زجاج النوافذ الرث، الذي يخنق أشعة الشمس فيرتد بها للفضاء، يبعث لي بخيالات متمايلة لشجرة حبيسة بالخارج، مالت معها رأسي نحو السؤال الذي كنت أسأله لنفسي دائمًا: لماذا لا يحكي لنا أبي عن عمله الحالي؟ كان يهمس دائمًا لأمي عن مشاكله بالعمل بعيدًا عن آذاننا التي كان يعتقد أنها بعيدة عن مواعظ أمي لنا، لما يواجهه من مشكلات وتحمله المتاعب، تضحياته التي يقدمها من أجلنا، كيف أنه يتحمل العناء من أجل توفير كل ما نتمناه كما تعتقد، مشكلات أبي العظيمة كانت تنحصر بين طموحاته، مغامراته، بين مديره الهائل القرارات، هذا ما علمته بعدما تلقيت بشرى نجاحي

بتقدير جيد جدّا في كلية العلوم حين عانقني وقال: بنت الوز عوام، بعدها أغلق علينا باب غرفتي، غامر معي بحديث أبوي طويل، حدثني فيه عما كان من طموحاته وأحلامه عندما كان بالجامعة، عن اصطدامه بالواقع، بأبراج الإدارات الشاهقة التي غرست قبل مجيئه للعمل، كان حديث أبي لي بمثابة هدية نجاحي الثمينة التي يقدمها جزاء ما اقترفت من تفوق، مهددًا بالتثبيط الإداري والوظيفي، بعد أن انتهى من تقديم هديته سألني عن أمنياتي فأجبت بخجل اعتراني:

- عالمة في الذرة

ولم أندهش عندما نظر إليّ بابتسام، مخضبًا بدماء السخرية الدفينة، مربتًا على كتفي بحنان مفعم بآلام قديمة:

- وفقك الله يا ابنتي

خرج، جذب الباب خلفه، كأنه أرادني أن أجلس مع نفسي، أعيد تبلور كلماته داخلي، قد كان له ما أراد، رغمًا عني دخلت بدوامة التفكير في القادم، غول الأسئلة يهاجمني بشظاياه، يلقيها نحوي، يهرب ثم يعود عندما يتنهي مفعول الهجوم السابق، استلقيت على قارعة سريري الصغير، ذهبت لمملكة النوم.

- يا آنسة.. آنسة.. هل غلبك النوم؟

- هه.. أعتذر يبدو أني قد سهرت بالأمس

- أكيد هو القلق من العمل الجديد

- آه فعلا.. يجوز ذلك
- لا تقلقي، سوف يعجبك العمل هنا
- نعم، أستشعر ذلك فالمكان حقّا يشجع على العمل

نظر إليّ بنشوة الانتصار، على الفريسة بعينيه التي كادت أن تلتهمني بأنيابها الحمراء المنتشرة على البياض المحدب، قمت ألملم رداء خجلي المتبعثر أمام هذا الإنسان الكثيف، الذي يثير القرف بمعطفه الملطخ بخليط من الأوساخ الكيميائية ونظّارته التي تجمعت بين ثناياها الأتربة المتجمدة، خصلات شعره الملتفة كخاتم الزفاف.

- عفوًا يا آنسة لم أتشرف باسمك
- ينادوني أحلام
- وأنا حامد. حامد عمران
- شرفت بك
- وأنا أكثر
- هل من الممكن أن أعرف ما هي طبيعة عملي هنا؟
- لا تعجلي برزقك، اليوم أنت ضيفتنا
- شكرًا لك، ولكن أريد أن أعرف ما سأقوم به تحديدًا
- حسنًا، طبيعة عملك هي أن تقومي بتحضير العينات المعملية التي تأتينا من وزارة الزراعة، والصحة وإعدادها للفحص

- أفهم من ذلك أنني لن أقوم بالفحص بنفسي؟
- قلت لا تعجلي برزقك، عملية الفحص والتشخيص وإخراج التقارير هي مهمتي
- آه.. فهمت.. أشكرك
- لا شكر على واجب

*****

كان أبي يجلس على مقعده المفضل بجلبابه الأبيض الفضفاض، وقد نشر أوراق الجريدة أمام رأسه المختبئ، إلا من صلعته الفسيحة الملساء، صورة الرئيس تتصدر الصفحة المواجهة، مصافحًا أحد الزعماء العرب، لم أتوقف على المشهد كثيرًا حتى شعر أبي بوجودي، طوى الجريدة دون اهتمام بهندمة الصفحات:

- طمئنيني، ما الأخبار؟
- الحمد لله، الأمور تسير على ما يرام
- هل استلمت العمل؟
- نعم، من أول لحظة
- عظيم جدّا

بعد دعائه لي بالتوفيق كعادته، عاد ليحمل جريدته بأخبارها التي ينتظرها كل يوم بشغف، على الرغم أن أحداث اليوم هي أحداث الأمس والغد، أذكر أنني يومًا ما أخطأت، ناولت أبي جريدة اليوم

السابق، أخذ يقرأها بنهم دون أن يلحظ أنها نفس الجريدة التي أتم قراءتها بالأمس، عند خروجي للجامعة فوجئت بوجود جريدة هذا اليوم الطازجة تنتظر بالصندوق المخصص، ضحكت كثيراً، عدت بها لأبي الذي قال بلهجة صباحية ساخرة مداريًا ما وقع فيه من خطأ:

- أعلم أنني أقرأ جريدة الأمس يا شقية، لا تظني أن أباك صار عجوزًا ذهب عقله.

بحجرتي الصغيرة كنت أجلس على مكتبي، أتأمل كتبي القديمة، أتذكر أيامي معها، كم كنت أستمتع بقطف صفحاتها حتى النهاية، وقعت عيني على كتاب الفيزياء بألوانه المزركشة الزاهية، اقتلعته من مكانه، بالمنتصف عند بداية الفصل الثالث (الفيزياء النووية) كتبت أمنيتي فوق العنوان الذي كُتب بخط أحمر عريض، مازالت الأمنية قابعة بالأعلى بخطي الصغير، الذي طالما اشتكى منه المدرسون، كنت أقنع نفسي دائمًا بأن الخط السيئ سمة من سمات العباقرة الذين يستحقون عناء القراءة، دثرت الأمنية بالنصف الآخر من الكتاب علّني أعود إليها يومًا ما، مرت الأحداث بمنزلنا ككل يوم، إلا من نداءات أمي الجديدة التي ملأت بها المنزل، التي ترتفع كلما اقتربت من النوافذ كأنها تريد أن تُسمع الجيران– أستاذة أحلام – حتى أني لم أردها فيما تقول، لم أعلق لها على هذا اللقب الجديد ولا على رائحة البخور التي لونت بها الأجواء.

*****

جذبت معطفي من فوق المشجب، كان يضيء بياضه الناصع وسط عتمة المكان الباهت، كأنه جسم غريب سقط بأحشائه فأراد أن يلفظه، صوت "حامد" يقترب بالخارج يمرر تحياته الصباحية التي انتهى بها عند أعتابي، بادلته التحية بصوت خفيض، اتجهت ناحية الثلاجة أُخرج منها بعض العينات لأمارس معها عملي الذي أملاه عليّ بالأمس، بدت عيناه منتفختان ووجهه الشاحب تعلوه خصلات الشعر اللولبية وبقايا من بلورات المياه مازالت تعلق بالأهداب، رفع سماعة الهاتف كبداية لممارسة استعراضه المفضوح بطلب القهوة المخصوصة التي من المفترض أن يكون الساعي اعتاد على صنعها وتوليفها لتتناسب مع مذاقه يوميّا، دفع بالسماعة لترتطم بقاعدة الهاتف، أخذ يشتم، يسب، يبدي استياءه نحو الساعي الغبي على حدّ وصفه، لتأخره بتقديم القهوة بموعدها اليومي المحدد، ترك أطراف تلك المشاجرة الذاتية، أعاد أدراجه موجهًا بصره المنتفخ نحوي بعد أن تحولت نبرات صوته لنبرات مطرب شهير لا يحضرني اسمه الآن:

- ماذا تفعلين؟

- أقوم بتحضير العينات للفحص

- أنت دائمًا هكذا متعجلة

- وهل أخطأت في شيء؟

- لا أقصد الخطأ
- إذن فما هو قصدك؟
- أقصد أنك بدأت عملك دون تناولك القهوة أو الشاي
- أنا لست من هواة شرب الشاي والقهوة
- غريبة!
- لا أرى في الأمر غرابة
- حسنًا.. كم عينة قمت بتحضيرها؟
- اثنتين
- فقط اثنتين؟! أنت بطيئة جدّا
- أليس غريبًا أن تتهمني بالعجلة والبطء في آن واحد؟
- لا عليك.. فقط كثفي جهدك

مدّ فمه يرتشف القهوة، مُصدرًا صوتًا يشبه صوته الغليظ، مع كل رشفة يصيبني بنظرة من نظراته الثعلبية، شعرت كأني عارية أمامه تمامًا، كنت ألملم المعطف لأحكم به لف جسدي، لأحتمي من خلسات هذا الفأر الجائع، كنت أعمل بأقصى جهدي، لأقضي على اتهاماته المغرضة، لكن ثنايا الغيظ تتشر داخلي، فيطفو ارتباكي حينًا، تصرعني ثقتي بنفسي أحيانًا أخرى، بدأت الخطوة الثالثة، الثانية على ما أظن من حركاته البهلوانية المحروقة أمام مجهره الحقير، كان يغرس فيه نظراته الملتهبة التي تلوث عيّنات الفحص، فتحولها إلى عينات إيجابية مشبعة بالميكروبات والجراثيم التي كلما اكتشفها حول

رأسي إلى إناء يصب فيه ثرثرته عن علمه وخبرته، سنوات عمله المتواصلة بهذا المجال، مرّ الوقت العصيب بعد أن زحفت العقارب نحو موعد الرحيل، خلعت معطفي الذي انتشرت عليه بعض من أوسمة المكان، أهديته للمشجب كما كان، تحرك صوته وسط فقاعات نظراته المحلقة فوق رأسي:

- أين تسكنين؟

- أسكن عين شمس

- جميل جدّا.. أنت قريبة من مسكني

- وما وجه الجمال في ذلك؟

- هذا سيسهل عليّ اصطحابك معي بسيارتي

- لا.. أشكرك

- الأمر لن يرهقني صدقيني

- قلت لك.. أشكرك

- كما تشائين.. لك الخيار بالطبع

*****

كنت أجلس بالحافلة بمواجهة امرأة بمنتصف العمر، تتأبط طفلا صغيراً يلعق بقطعة حلوى، كان يبتسم كلما نقلت نظراتي اليائسة إليه، ربما يسخر من حلمي الضائع، أو أنه يبتسم لقدره القادم – لا أعلم – لم أعره اهتمامي، هربت منه ببصري ناحية السائق – سبحان الله – يشبه "حامد" تماماً، نفس

الرأس بشعرها الملفوف، الوجه الشاحب، الأنف المعكوف، حتى عينيه المنتفخة المنعكسة بالمرآة، حولت المسار للطفل المبتسم الذي يستمتع بهدهدة نتوءات الطريق، تداخلت معه في حوار خفي:

- يومًا ما ستكون "حامد " أيها الساخر الصغير
- منذ ولدت وأنا "حامد" يا طنط.. أبكي وأبكي لأحصل على ما أريد
- عندما تكبر ستبكي كثيرًا لضياع أحلامك
- ومن قال أنني يومًا ما سأحلم
- لن تستطيع العيش دون حلم
- سأركله بقدمي إذا حاول الاقتراب
- لكن الحلم حياة أيها الساخر
- الحلم طريق للموت يا طنط

ثم أسقط بقطعة الحلوى من يده، أخذ يبكي، يصرخ، أحنت أمه ظهرها لالتقاطها من الأرض، بعد أن حررتها من الأتربة العالقة، أعادتها إليه وقد أنهى نوباته العارمة، أراد الشقي أن يثبت لي بالتجربة العملية كيف أنه سيصبح "حامد" العصر القادم، ازداد الازدحام، تلاحمت كتل اللحم البشري المبلل، صوت "حامد" أقصد السائق يرتفع بتعليماته.

- ابتعدوا عن الباب، من سيهبط بالمحطة القادمة يقترب من المقدمة..

كان يجلس أبي أمام التلفاز، يرتدي نظارته السميكة، يتابع بشغفه المعتاد مباراة كرة قدم،

تهليلاته ترتفع كلما اقتربت الكرة من المرمى، نصائحه الضائعة للمدير الفني بتبديل خطة اللعب كادت أن تثقب الشاشة، كانت قدمه تتحرك دون إرادته مع محاولات اللاعبين اليائسة للتصويب، انتهت المبارة بفوز يرضيه:

- لو كنت ولدًا يا "أحلام" لتمنيتك لاعبًا لكرة القدم
- الحمد لله أنني خُلقت أنثى يا أبي
- راتب اللاعب يصل إلى أضعاف أضعاف راتبك، وزيادة على ذلك الهدايا والعطايا والشهرة والمجد
- لو كنت ولدًا لكانت أحلامي كما هي الآن يا أبي
- لكن الحلم مع العلم طريقه طويل يا أحلام
- وحلمي هو خوض هذا الطريق

تركت الحديث، دخلت حجرتي مطبخ أحلامي وأمنياتي، جلست على مكتبي عرش حلمي، كتاب الفيزياء مازال يتربع على سطحه الصلب، اشتقت لرؤيتها داخله، هناك بالمنتصف عند الفصل الثالث "الفيزياء النووية" وفوق العنوان العريض استمتعت بقراءة خطي العبقري - عالمة في الذرة – هبطت من العرش، ألقيت بجسدي على السرير أتصفح السقف الذي رسمت عليه خارطة الطريق، ثم دقات متتابعة على الباب تناسقت معها نداءات أمي:

- أحلام..
- استيقظي سيفوتك موعد الامتحان.

لاتحرقه

أدار محرك السيارة بارتباك، اهتزت أنامله حتى استقرت على المقود، نظر للوميض الأحمر الذي يأتي ويغيب، حرك مؤشر الراديو حتى توقف على ما يريد، رتل معه بعض الآيات بصوته الغائر بدهاليز الخوف، خلل لحيته السوداء ثم تماسك بالأطراف، نظر للندبات السوداء التي تركتها قضبان أبيه الملتهبة على ذراعه المفتول، كانت القسوة تتساقط من بين أصابعه الغليظة فتحرقه، استحلفه بالله، قبّل يديه، قدميه، تعتصر رأسه الصغير، استغاثات أمه بالجيران، صرخاتها، بكاؤها – ابني، ابني لا تحرقه – لكن صفعاته كانت تستقر هناك على الخدّ الحنون، البصمات الحمراء تنتشر كالمرض الخبيث – لا فائدة من التوسلات – الوميض الأحمر يخترق عينيه، يغدو ويروح، يضيء وينطفئ، السيارة تغلي بالوقود، زاد من السرعة، المؤشر لا يتردد، 90,80, 100، 120, 160, ابني لا تحرقه، لا تحرقه، التوسلات تنتشر، الصرخات تعلو، غاب الوميض، عاد الوميض بلاغياب.

عوض سعيد

- مات عمك قبل أن تولد – رحمه الله - أسميتك على اسمه " عوض "
- أبي قال لي هذا من قبل
- أبوك؟!
- نعم، قال إن جدك هو من أسماك على اسم عمك
- نعم، أنا من أسميتك
- علمت لما تنادوني " عوض سعيد "
- نعم، اسم" عوض سعيد" سيظل
- لكن أنا اسمي "عوض أحمد"
- عمك كان من أقوى الرجال بالبلدة
- نعم رأيت صورته وهو يستعرض عضلاته المفتولة
- اشرب الشاي

.....

- زد كوبي من السكر

.....

- الله.. مثل عمك تمامًا صانع ماهر للشاي
- جدي.. أنت من صنعته وليس أنا
- لكنك من أضفت إليه السكر

- عمك كان بطلا الكل يهابه
- قالت لي أمي إنها كانت تهابه أكثر من أبي
- أمك" سيدة" كانت ترتعد منه
- أمي ليس اسمها "سيدة" بل هذا اسم جدتي
- آه.. زلة لسان لا تؤاخذني
- ماذا كان يعمل ؟
- ألا تعرف ؟!
- لا.
- نسيت عملك ؟
- جدي أنا بالدراسة لا أعمل .
- آه.. نسيت.
- ما ذا كان يعمل ؟
- كان من أمهر المزارعين .
- كان مثلك إذاً.
- نعم وستكون مثله .
- لا يا جدي .. أن أريد أن أكون معلماً.
- ستكون مثله .
- لا مانع أنا أساعدك بالحقل و أدرس في نفس الوقت .
- هو كان يساعدني كثيراً.
- يرحمه الله .. سمعت كثيراً عن شهامته من رجال البلدة .
- أين زوجتك تأخرت بالغذاء؟

- زوجتى ؟! أنا لم أتزوج بعد .
- أليست "ليلى" زوجتك ؟
- ليلى هي زوجة عمى .
- لكنك تضربها كثيراً .
- أضربها ؟!
- جدي هل أنت مريض؟
- قم أمسك فأسك وقلب الأرض الشرقية .
- جدي .. ليس عندي فأس ولا خبرة بالزراعة .
- أنت دائماً هكذا تجادلني يا" عوض".
- بالعكس أنا أطيعك دائماً ولا أخالف لك أمراً .
- اسميتك "عوض" على اسم خالي .
- لكن أبي قال أنك أسميتني على اسم عمي .
- عوض سعيد.
- نعم .
- وأنا عوض أحمد .
- أحمد لم يتزوج بعد .
- جدي ما بك أنت مريض ؟!
- قلت لك لست مريضاً يا "عوض". أعرف أنك تخاف علي - أكثر من نفسك.
- جدي أنا ابن "أحمد" ابنك الأصغر وهو متزوج من سنين .
- دائما تضرب أحمد يا "عوض" لأنه لا يساعدني .
- أضرب أبي ؟!

- جدي أنا "عوض أحمد" .. كيف أضرب أبي؟
- أنت عوض سعيد .
- أحمد.
- بل سعيد.
- اسمي "عوض أحمد" . عوض سعيد مات .
- عوض سعيد لم يمت .
- بل مات .. مات قبل أن أراه ياجدي .
- لم يمت.
- مات.
- قلت لم يمت .
- جدي أنت تهزي .
- لم يمت.
- جدي .. جدي.. رد على .. جدي .
- .....

براءة الفوضى الجميلة

بقلم/ إبراهيم خطاب

دراسة نقدية حول مجموعة (لوزات الجليد)

للقاص / محمد سامي البوهي

في هذه المجموعة القصصية، التي تتكون من خمس عشرة قصة وهم (أصوات نعرفها /الرصيف المقابل / لوزات الجليد / لون فاسد / كسرة خبز / الكراسي الموسيقية / العرض مستمر / البؤرة الفضية / الذي ثأر لضحاياه / القفص الفارغ / نحو الخلاص / ظل للحظات / أحلام تحت المجهر / لا تحرقه / عوض سعيد)

هناك العديد من السمات والملامح الأسلوبية، والبنائية، التي نستطيع التوقف عندها كثيراً، لما تتمتع به هذه المجموعة القصصية (لوزات الجليد) من عوالم مختلفة وثرية، ما بين الواقع والخيال، الواقعي والميتافيزيقي أيضًا، وبلغة شعرية تُلمّح، ولا تُصرّح، تُوحي، ولا تُعلن، وكما قال العديد من النقاد العالميين والعرب، في آن واحد، بأن نظرية الأدب عبر النوعية، للأجيال الحالية والمتعاقبة، أصبحت

بمثابة طوق النجاة، للخروج من مأزق الحالات التقليدية، والغير مشعة في لغة السرد المعاصر، وذلك بأكثر من معنى متداول وليس آحادي الوجهة، فمن ناحية، افتقد الأدب المعاصر الى حد كبير هويتي المكان والزمان، فما يكتب بدولة ما، قد يكون مقروءًا أكثر في بلد آخر، وليس بالضرورة البلد المنتج لهذا العمل الإبداعى، فما يكتب - على سبيل المثال - في أمريكا اللاتينية، قد يكون مناسبًا لغالبية دول العالم الثالث من بلدان العالم العربي تحديدًا، لغة، وحالة، وإبداعًا، **وهذه الأولى**...

والثانية:

فى نظرية الأدب عبر النوعية، تلاشت الكثير من المسافات، التي كانت قائمة، وسقطت الحوائط والأبنية من حيث النوع، فمثلا الكاتب القصصي المعاصر، أصبح يستخدم بعمله القصصي لغة المشاهد، أي الكادرات السينمائية، كما استفاد أيضًا من مختلف الفنون، من تقنية المسرح، واللغة المسرحية، وأيضًا التعبير في أعماله القصصية، بلغة مكثفة ودالة، أقرب ما تكون الى اللغة الشعرية, كما أن هذا لا يمنع الكاتب القصصي البارع، في استخدام اللغة البصرية اللونية، في رسم قصصه الإبداعية، كلوحة تشكيلية معبرة، والمزج بينها وبين الفن الموسيقي، عبر مقطوعة موسيقية مثلا، أو ما يشابهها.

كان لا بد من هذه المقدمة الاستهلالية، للدخول

إلى عوالم هذه المجموعة القصصية المتميزة (لوزات الجليد).

وفى هذا العمل، لن أقف أمام حالات مفردة تحليلية، كعامل اللغة بالنصوص، أو البناء, أو الحالة، كشكل تشريحي من أشكال النقد الأدبي المعاصر، أو تفتيتي، ولكن سوف أحاول تطبيق كل هذا, في محاولة اختيار بعض نماذج من هذه المجموعة القصصية (لوزات الجليد) والتعامل معها، ولتكن هذه القصص على سبيل المثال وليس الحصر (أصوات نعرفها / لوزات الجليد / الكراسي الموسيقية / الذى ثأر لضحاياه) محاولا التوغل إلى أعماق هذه النصوص الإبداعية، وذلك للعلاقة الوثيقة بين هذه القصص، وبين ما ذكرت بمقدمة هذه الدراسة النقدية سابقًا.

أولا: اللغة الحركية في (أصوات نعرفها)

فى هذا العمل القصصي، نلحظ للوهلة الأولى أننا بصدد عمل حركي، صوتي بالدرجة الأولى، ما بين أكثر من مصدر لهذا (نقر الكلمات/صوت زخات المياه/جرس التليفون/جرس المنبه/جرس الجوّال... الخ)

إلا أن هناك صوتًا لم يذكره الكاتب في سياق عمله القصصي، ربما على المتلقي، أو القارئ أن يبحث هو عن مصدر هذا الصوت، إذ في هذه القصة يصحبنا الكاتب للعديد من التخيلات والتوهمات -

أحيانًا - حول مصدر هذا الصوت الأنثوي تحديدًا، هل هى محبوبته، صديقته، زوجته، أمه، أم صوت داخلى يناوشه بين الفينة والأخرى.؟

في لغة شعرية صافية، ومكثفة إلى درجة كبيرة ومعبرة في آن، وأيضًا لغة تميل إلى الشحن النفسي والعاطفي والإنساني، انتظارًا لما يجيىء به هذا المنتظر، الكاتب يعرف الصوت تقريبًا، الكاتب يحس بلهجة الصوت التي ليست غريبة عنه تقريبا، كما أن هناك إحساسًا ما متبادلا ومشتركًا ما بين الكاتب ومصدر الصوت أيضًا، هل القضية هنا كانت في عدم تعرف الكاتب على صوت أخته..؟؟

لو كان الأمر كذلك، ما كانت القصة، ولا قيمتها الأدبية، فما القضية إذن؟ أتصور أن القضية الكبرى، في كل هذه الأصوات الحميمية التي تسكننا، ونسكنها، وتعيشنا، ونعيشها، ونحياها، وتحيانا، ولكن..

ما هذه الغربة التي انتابتنا فجأة، فجعلتنا لا نفرق بين كل هذه الأصوات، لا فرق بين صوت المنبه، جرس الباب، جرس الجوال، جرس التليفون العادى، صوت أختى..؟؟

أتصور أن الصوت الأخير الذى أخفاه الكاتب عن عمدٍ، هو صوت الإحساس، والمشاعر، والعاطفة، لأن هذا الصوت لا يكذب، هذا الصوت الذى أعطى للكاتب قدرية الاحتمال بأن هذا الصوت هو يعرف

لهجته، ولكنته، ونعومته، ولكنه صمت عن الإجابة.

أتصور أن هذا العمل من الأعمال الجيدة للغاية داخل إطار هذه المجموعة القصصية.

ثانيًا: الصورة المشهدية في (لوزات الجليد)

حول هذا العمل القصصي، الذى يعتبر - كما قال الكاتب في عباراته - بمثابة (رسالة ميت) نحن أمام لوحة تشكيلية بارعة، استطاع الكاتب المزج فيها بين العديد من المترادفات, التي أضافت الكثير للعمل، ليخرج العمل من نطاقه المحلي العربي، إلى آفاق أكثر رحابة إنسانيّا وعالميّا، حين يعبر الكاتب بين أكثر من وجه بين (لوزات الجليد المتساقطة /عزف مقطوعة (البجعات) لتشايكومسكي) وهذه **واحدة**

والثانية:

(ما بين الدفء والبرودة / الانسجام والغضب / آناريتا / عمتها) الوضوح/ الكذب /البراءة / البراءة المفقودة عن قصد)

والثالثة:

- الربط ما بين (آناريتا) ورسالة والدها
- الخوف من عمتها
- تفكيرها في عزف مقطوعة(البجعات) بعد علمها بموت والدها
- سقوط قطع الثلج في الفضاء الرحب، بحرية قد تكون (آناريتا) في حاجة كبيرة إليها

هذا العمل القصصي يعود بنا إلى مفهوم نظرية الأدب عبر النوعية، التي تحدثنا عنها، في بداية الدراسة، ولذا نلحظ في العمل تحديداً، بُعد النص الإبداعي، عن الغلاف المحلي المسجل (بطبع في كذا أو كذا) فنحن بصدد إبداع إنساني راقٍ بالفعل، ويتحدث عن همومٍ هذه الأنثى (آناريتا) بشكل وبأسلوب أكثر عمقًا، يدفعنا إلى إعادة قراءة الأدب الروسي من جديد، لنرى ما أضافه الكاتب من إبداع على هذا القص العالمي، بحالاته المختلفة المعبرة عن همومه، وقد كان من الجميل والجديد في هذه القصة أيضًا، وكأن الكاتب يستشرف إبّان مرحلة الثورة البلشيفية، أن الحاجة لم تكن أكثر إلى رغيف العيش، بقدر حاجة الإنسان الروسي إلى الحرية، ثم الحرية، وقد نجح الكاتب بدرجة كبيرة، في عدم تماهي القضايا والحالات الإنسانية لديه من هذه الزاوية أيضًا، وهنا يتوازى كاتبنا الجميل كمبدع وفقط، بعيداً عن هوية الدين والوطن، وقريبًا من هوية المبدع فقط، إلى الأدب الإنساني والإنساني فقط، ولا يفوتني تصويره الرائع لهذه البيئة وهذا الوسط الاجتماعي بقصته، وهذه الثنائية المتناقضة للغاية، والتي ربما عن قصد غير مفهوم للابنة، ولكنها مبررة للعمة، ما بين (آناريتا / عمتها) وكذلك هذه السيمفونية الكبيرة التي جمعت ما بين لغة الشعر واللوحة التشكيلية، والطبيعة الفنية أيضًا، التي ساهمت جميعها في إخراج، لا أقول هذه القصة، بل

هذه اللوحة التشكيلية الرائعة بالفعل.

ثالثًا: ما بين الحلم والواقع في (الكراسي الموسيقية)

فى هذا العمل القصصي، الربط بين الحلم والواقع من خلال، شخصيتين متناقضتين في البداية، وهما الذات الفاعلة، الواحدة, وإن كانت تبدو ما بين مدير مكتب ما, وموظف ما أيضًا..

إلا أن الأمر غير ذلك كثيرًا، وليس كما يبدو لنا للوهلة الأولى، لأنهما في حقيقة الأمر ضمن الدلالات التأويلية للعمل الأدبي، إنهما في حقيقة الأمر شخص واحد، ورجل واحد، الاثنان إذن واحد، داخل بؤرة النفس الإنسانية، باتجاهين مختلفين ومتنافرين ومتضادين، كلٌّ منهما يرغب في فرض سيطرته وهيمنته على الآخر، بل ينتظر متى سقوط هذا الآخر، لاحتلال مكانه، والاستعلاء عليه بالأوامر والقرارات وما شابه ذلك، إننا بصدد قصة انفصال الذات إلى شقين، ما هما في الأصل، إلا النفس الإنسانية الموّارة بكثير من الأشياء والحالات والتعقيدات المختلفة، شكلا وموضوعًا، وقد نجح الكاتب في تصوير هذا الصراع الإنساني, بين بؤرتي الخير والشر، والعدل والظلم، والحب والكراهية، والمنح والمنع، داخل النفس الإنسانية الواحدة، وبلغة أفادت كثيرًا - عبر بساطتها - في طرح هذا المنظور الإنساني، من أكثر من زاوية وبُعد، ما بين

العام منه والخاص في آن.

يقول الكاتب:

- هذه التقارير لا تصلح إلا كأكياس لبيع الحبوب
- آسف سيدي سأعيد كتابتها
- أمسك بسماعة الهاتف، رد ظهره للوراء، تأرجح بالكرسي الموسيقى يمينًا، فيسارًا, نظر لأطراف أظافره لاستعادة لزمات الحوار
- أعدى خطاب إنهاء خدمات وأحضريه حالا يا آنسة

ولذا.. نجد أن هذا العمل الإبداعي يُقرأ على أكثر من دلالة، وليست دلالة واحدة مفردة وفقط.

رابعًا: ميتا فيزيقا النص الأدبي في (الذي ثأر لضحاياه)

من الواضح مدى استفادة الكاتب، من عالم علم النفس، وخاصة عالم ميتافيزيقا النفس الإنسانية، في معظم حالاته الإبداعية، التي تناولها في أعماله القصصية، وعلى سبيل المثال لا الحصر (كسرة خبز / البؤرة الفضية /الذي ثأر لضحاياه).

وفى هذا العمل الأخير (الذي ثأر لضحاياه) يتراوح الكاتب متنقلا ما بين عالم الميتافيزيقا (الروح) وعالم الواقع (الجسد) في تصوير الحالة، وهو أقرب ما يكون للتضافر مع لغته السردية المعبرة، وفى هذه القصة (الذي ثأر لضحاياه) معبرًا عن الواقعية الحلمية، أو بالأحرى الواقعية الكابوسية، لبطل هذا

العمل، فمن الناحية الواقعية (الجسد) نحن بصدد العديد من حالات الانهيارات المتعددة، بالمجتمع الإنساني عامة، وليس العربي خاصة، نفسيّا، اجتماعيّا، سلوكيّا.. إلخ. من خلال نفس إنسانية تميل إلى الشراهة في طباعها المختلفة، ليكون له دور بارز، في الفتك والتضحية بالجميع، وإذا كان ذلك يدلنا على شيء، فإنما يدلنا على صفة الأنانية المفرطة التي سادت هذا المجتمع المعاصر، حتى أن بطل هذا العمل القصصي، الذي ثأر لضحاياه, لم يكتفِ بأصدقائه فقط، بل زوجته وابنته أيضًا، وتلك هي الحالة الواقعية (الجسد) أو بلغة أدق هي (الطين) المكبل لطباع النفس الإنسانية، فما بالنا بحالة الروح، أو ميتافيزيقا النص الأدبي، لنرى سويّا كيف انشطرت الذات على نفسها، ما بين الجسد والروح، ما بين السموّ والدناءة، ما بين الرضا والغضب، في لغة بسيطة معبرة عن الحالة والحال في آن، وفى حلبة من حلبات حساب الضمير الإنساني، ويستدرجنا الكاتب بمهارته إلى نهاية العمل الغير مألوفة واقعيّا، والمألوفة ميتافيزيقيّا، من حيث الدلالة المتعددة لهذا العمل الإبداعي، حيث يقول:

(في الصباح، سقط شعاع الشمس، عابرًا من النافذة، على جثة هامدة، ملقاة على الكرسي، أمامها صينية عليها، فنجان واحد فقط)..

وختامًا:

أتصور أمام كتابات القاص / محمد البوهي، أننا بصدد كاتب واع بفنون القصة القصيرة، ويمتلك الكثير والكثير من مقوماتها، والتي تؤهله فعليًا، في السنوات القادمة، أن يكون بحق واحدًا من أهم كُتَّاب القصة القصيرة، ليس في مصر وحدها..

إبراهيم خطاب

12/5/2006

فهرست

1- أصوات نعرفها .....
2- الرصيف المقابل .....
3- لوزات الجليد .....
4- لون فاسد .....
5- كسرة خبز .....
6- الكراسي الموسيقية .....
7- العرض مستمر .....
8- البؤرة الفضية .....
9- الذي ثأر لضحاياه .....
10- القفص الفارغ .....
11- نحو الخلاص .....
12- ظل للحظات .....
13- أحلام تحت المجهر .....
14- لا تحرقه .....
15- عوض سعيد .....
16- دراسة نقدية .....

الكاتب في سطور:

* ولد بمحافظة دمياط بمدينة الروضة، عام 1977.
* تخرج في كلية التربية، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة المنصورة، عام 1999.
* عمل صحفيّا بقسم التحقيقات بجريدة يوليو الإقليمية من عام 1999: 2002.
* نُشرت له العديد من المقالات بجريدة العربي الناصري.
* شارك في تأسيس مجلة صوت الطلاب الدورية، عام 1997.
* شارك في تأسيس موقع أدباء دوت كُم www.odbaa.com، عام 2005.
* رئيسًا لمعسكر الموهوبين فنيّا بالإسكندرية عن أسرة النضال، عام 1998.
* مقررًا لجماعة الصحافة باتحاد طلاب كلية التربية - جامعة المنصورة - عام 1997.
* مشرف نادي القصة بالمعهد العربي للدراسات والبحوث الاستراتيجية بالأردن.
* مراسلا للصفحة الثقافية بجريدة الحقائق الصحفية (لندن)، عام 2006.

* مراسلا لجريدة الصباح الأدبي (فلسطين)، عام 2006.

- نُشرت له العديد من الأعمال بالعديد من الصحف الورقية والإلكترونية:

منبر دنيا الوطن – الهدف الثقافي – الحوار المتمدن –جريدة أنهار الكويتية – الأزمنة العربية الإماراتية.

* والعمل الحالي رئيسًا لقسم خدمة العملاء والصيانة بشركة الروابط الكويتية البريطانية بدولة الكويت.